علاقة المشكلة الفلسطينية بالتجزئة وبالصراع الاساسي في المنطقة العربية

هاني مندس

ينطلق هذا المقال في معالجته ، لما يسمى عادة ، بالمشكلة او القضية الفلسطينية من زاوية علاقتها : ١ ــ بعملية التجزئة الاستعمارية التي حدثت ، على وجه التحديد ، لسوريا العربية . ٢ ــ بالصراع الاساسي الدائر في المنطقة العربية . ولا يتوخى المقال في توجهه الاساسي ، الى الخلوص بنتائج تقريريه سريعة واحكام عامة ، (درج عدد من الكتاب والمفكرين العرب الى تضمينها كتاباتهم ، في هذه المرحلة ، دون الاستناد الى معطيات كافية او منهج علمي واضح) ، بل الى طرح بعض المنطلقات والتساؤلات المحورية ــ بالرغم من ان هذا المقال لا يخلو من بعض الاستنتاجات الضرورية ــ التي تطرح امام الفكر التاريخي العلمي مهمة التصدي لمعالجتها وبلورتها بغية تكوين ملامح الرؤية الاستراتيجية على قاعدة موضوعية صلبة .

لقد سبق للفكر القومي البورجوازي ، في مختلف تياراته المحافظة والوسطية والراديكالية وخاصة ابتداء من الثلاثينات والى اليوم، ان حاول التصدي لتناول المشكلة الفلسطينية على اساس متقارب من الزاوية التي سنحاول ان نعالجها فيها ، الا ان هذا الفكر بقي يدور في حلقة مفرغة حبيس منهجه اللاتاريخي والتحليلات التقريرية الشكلية والشعارات والمفاهيم والاحكام الاخلاقية العامة دون ان يتقدم خطوات جادة الى الامام على طريق التحليل التاريخي العلمي لحركة الواقع الاجتماعية في مستوياتها المختلفة .

١ ــ علاقة المشكلة الفلسطينية بواقع ونتائج التجزئة

لا يمكن فصل المشكلة الفلسطينية عن واقع التجزئة التي فرضتها واصطنعتها القوى الامبريالية لاضعاف امكانات نمو القوى المنتجة وبالتالي تعاظم الحركة الوطنية الثورية في سوريا العربية (التي تضم سوريا الحالية + الاردن + فلسطين + لبنان)، وسائر مناطق الوطن العربي . وذلك تسهيلا لتحقيق أشكال الالحاق والتبعية للامبريالية . فلم تكن قط تجزئة المنطقة العربية تجزئة سياسية عبثية ، بل كانت عملية فصل بين قوى الانتاج مما يؤدي الى **اعاقة** عملية النمو في اجزاء معينة والى الغائها او **تقليصها** الى ابعد حد في أجزاء اخرى .

وقد ادت عملية التجزئة ، بوجه عام ، الى خلق كيانات سياسية لا مبرر تاريخي واقتصادي سياسي تحتمه قوانين التطور الداخلية (قوى وعلاقات الانتاج) في كل كيان منها . بل ان مبرر وجودها الاساسي نابع من دورها ضمن مخططات الالحاق واشكال التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية للقوى الامبريالية في المنطقة . ان اقطارا كالاردن وفلسطين (قبل ١٩٤٨) ولبنان ، على اختلاف درجات التفاوت والتطور فيما بينها ، لا تملك مقومات البقاء والاستمرار الداخلية المستقلة لافتقارها الى الاسس